PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(02):663-677
ISSN: 1553-6939

Food habits and their role in the process of socialization in Algerian society anthropological study - Tlemcen region as a model-

Mouafek Zazoui[1], Naima Rahmani[2]
[1,2]University of Tlemcen (Algeria).
The Author's E-mail: mouafek.zazoui@mail.univ-tlemcen.dz[1], naima.rahmani@mail.univ-tlemcen.dz[2]

Received: 16/09/2024 Published: 28/02/2025

Abstract:
Food cannot be limited to a biological need to build and repair the body, but is also a cultural fact. It is loaded with representations, values and norms.

While the satisfaction of the biological urge is the same for all humans, there is a difference between cultures in the ways, methods and customs in which it is treated. Given the importance of eating habits in translating the culture of societies, and because the table and its customs can constitute a basic entry point for reading society, in this article we seek to find out what role eating habits play in social education.

Keywords: Eating habits, food, socialisation.

العادات الغذائية، ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري دراسة أنثروبولوجية ـ منطقة تلمسان أنموذجا-

زازوي موفق[1]، رحماني نعيمة[2]
[2،1]جامعة تلمسان (الجزائر).

ملخص:

لا يمكن حصر الطعام في كونه حاجة بيولوجية تهدف الى بناء الجسد وترميمه، بل يتعدى الى كونه معطى ثقافيا. انه محمل بالتمثلات والقيم والمعايير.

وإذا كان اشباع الدافع البيولوجي واحد عند البشر، فان الاختلاف قائم بين الثقافات في الطرق والأساليب والعادات الممارسة التي يتم تناوله بها. ونظرا لأهمية العادات الغذائية في ترجمتها لثقافة المجتمعات. ولكون المائدة وعاداتها يمكن أن تشكل مدخلا أساسيا لقراءة المجتمع. فإننا في هذا المقال نهدف الى معرفة الدور الذي تقوم به العادات الغذائية في التنشئة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: العادات الغذائية، الطعام، التنشئة الاجتماعية.

تمهيد:

الطعام حاجة الانسان الضرورية التي لا يتوقف عن المطالبة به. والالحاح عليه من شأنه أن يؤسس لطرق مختلفة في التعامل والتعاطي معه، سواء كان عند جمعه أو تحضيره أو عند استهلاكه. والطعام لا يمكن حصره في اشباع الرغبات ذات الطابع البيولوجي، وانما هو معطى محمل بالدلالات الاجتماعية والثقافية. فمن خلاله نتعرف على طبيعة المجتمعات وتشكلاتها.

غالبا ما يقحم الانسان الطعام في تضامناته وفي تنافساته وصراعاته. ونظرا لأهمية البحث في هذا الميدان المعرفي الخصب فقد أصبحت أنثروبولوجيا الغذاء "مجالا للتحقيق المألوف وبقدر ما يتوافق الغذاء مع اشباع حاجة أساسية لها جذورها في فيزيولوجيا الحيوان البشري، يجد علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم هنا أمام مواجهة بين الطبيعة والثقافة لا تقل ثراء رمزيا مثل تلك التي يؤدي اليها اشباع الحاجة الجنسية والتبادل الزواجي[1] ونظرا للأهمية التي توليها الكثير من الاختصاصات العلمية للعادات الغذائية، وفي دراسة ميدانية قام بها أحد الباحثان ابرزا فيها ان "دراسة العادات الغذائية في مجتمع ما، ومحاولة معرفة حدودها هو امر مهم لارتباطه بإعداد وتحليل المخططات الغذائية لدى المجتمع، فالعادات الغذائية تعد من المؤشرات والملامح التي تميز الشعوب، ذلك أن العادات الغذائية على علاقة وطيدة بالمجتمع"[2]

يمكننا القول إن العادات والممارسات الغذائية لا تقتصر في التكفل بالمعطى البيولوجي، بل تظهر بشكل جلي في الثقافة ومضامينها. لذلك فهي حامل لها ولمعانيها ورموزها. ومن خلالها يمكن قراءة المجتمعات وفهم تشكلاتها. وهذا ما أبرزه وأسس له كلود لفي ستروس في كتاباته الاسطوريات ففي النيئ والمطبوخ جعل الطبخ نقطة الانتقال من الطبيعة الى الثقافة. معتبرا ان العادات المتعلقة بالطبخ هي تحول من النيئ الذي يمثل الطبيعة الى المطبوخ الذي اعتبره تحول ثقافي[3].

ان من يجتمع حول مائدة الطعام في كثير من الأحيان يتشارك مع غيره من الآكلين مجموعة من القيم والمعايير والقواعد والخصائص التي تحدد انتماءه. وبالتالي فان التمحور حول الطعام يؤسس لطابعه الجماعي. فحسب بيار بورديو يمكننا القول ان العادات الغذائية من شانها تكون ما اسماه بالهابيتوس الغذائي الذي يحيل الى بناءات التنشئة الغذائية التي تكونت لدى الفرد نتيجة حيازاته الثقافية والاجتماعية[4].

ولما كانت. كذلك فإننا نحاول في هذا المقال ابراز الدور الذي تؤديه العادات الغذائية في التنشئة الاجتماعية؟

لقد عدت التنشئة الاجتماعية على أنها عملية شاملة ومستمرة في حياة الفرد داخل المجتمع. انها تتناول وتمس جميع جوانب شخصية الانسان. فهي لا تنتهي عند مرحلة معينة من حياته. ولكن الشيء الذي يمكن الاشارة اليه بشكل أساسي وجوهري أن فترة الطفولة هي المرحلة الاكثر خطورة واحراجا في حياة الفرد. ذلك ان المراحل اللاحقة

[1] - Igore de garine, Anthropologie de l'alimentation et pluridisciplinaire, Ecol. Hum., vol. v, n° 2,1988, p 21

[2] - Parviz, Ghadrian et Thouez: résultats préliminaire d'une enquête sur les habitudes alimentaires des canadiens français a Montréal, méd. Et Nut, 1996, page 39.

[3] -Lévi Strauss claude,Mythologique,t.1 : Le Cru et le Cuit, Plon, Paris 1964,p202.

[4]-عبد الرحيم العطري، قرابة الملح- الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبع الأولى، الدار البيضاء المغرب 2016، ص54.

في حياة الطفل تتأثر بما اكتسبه من انواع السلوك والمعتقدات والمعارف ومن أنماط حياتية وعادات في سنواته الأولى. وقد يجوز لنا القول إن مراحل ما بعد الطفولة ما هي الا انعكاس لمرحلة الطفولة ونتيجة من نتائجها.

يتشكل الطفل أولا داخل الأسرة كمحيط أولي. ففيه يتم ارساء اللبنات الأولى في بناء وتشكيل شخصيته. هذه الاخيرة تبدأ في التكون في رحم أمه وهو لا زال جنينا وهي المرحلة التي يطلق عليها بمرحلة اللاتمايز ثم مرحلة الأنا الجسماني، حينما يبدا الشعور بجسمه كذات مفارقة للعالم الخارجي، يمتلك القدرة على التأثير في الأشياء ثم يبدأ أناه النفساني في الظهور خاصة عندما يدخل في مشاحنات مع غيره لتنتهي بمرحلة تشكل أناه الاجتماعي وهنا تبدأ عملية اكتساب اللغة وتقليد الآخرين.

ومما لا شك فيه أن العوامل الأسرية تقع عليها المسؤولية الكبيرة في انجاح التنشئة أو فشلها. فالأسرة تقدم الثقافة والعادات والقيم والتقاليد والمعتقدات الدينية التي تسهم في تكوين شخصية الطفل جسديا وعقليا ونفسيا وأخلاقيا واجتماعيا. ان الثقافات الوطنية مهما كانت الاختلافات التي تميزها، تستهدف غاية واحدة: منح الكائنات الانسانية أسلم الاستعدادات الجسدية والعقلية والروحية. وقد يجري الحديث أحيانا عن اعطاء عوامل معينة، الأولوية والاهتمام مقابل تغييب عوامل أخرى. ويندرج ضمن هذه العوامل ثقافة التغذية وعاداتها وما يرتبط بها من سلوك وآداب وممارسات وطقوس تتعلق بالأكل والمائدة. ومن الذين اهتموا بهذا الامر أعضاء مدرسة الشخصية القاعدية وتركيزها أيضا على مجال الغذاء، خاصة مرحلة الطفولة المبكرة

قد يبدو للوهلة الأولى أن العادات مجرد شيء روتيني يغلب عليه طابع العمومية، يحدث في كل بيت وفي كل أسرة دون ايلائها الدور في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد

انني أنطلق في هذه المقالة من فرضية أساسية: تتمثل في كون عادات الطعام وآداب المائدة تشكل ثقافة يتمثلها الطفل في مراحله الأولى تسهم في تنشئته اجتماعيا. وهي لا تقل أثرا عن مكونات الثقافة الأخرى التي يكتسبها في المدرسة والمسجد وفي المراكز الثقافية الاخرى...

وللإجابة عن هذه الفرضية اعتمدنا على أداتين: هما الملاحظة والاستبيان الذي تم توزيعه على مجموعة من الأسر الريفية وشبه الحضرية والحضرية. ولذا يقتضي منا التعرض لاهم العناصر الآتية:

1- عادات الطعام والصحة

2- عادات الطعام وطبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية

3-عادات الطعام ودورها في تربية وتنمية الذوق الجمالي

4- عادات الطعام وتشكل هوية الانتماء

5- **عادات الطعام وسيلة وأداة للتواصل بين الافراد**

6- عادات الطعام ودورها في تحديد الانتماء المكاني وتعلم الضبط الزمني

قبل تناول هذه العناصر بالبحث والدراسة تقتضي منا الضرورة المنهجية تحديد مفهومي التنشئة الاجتماعية والعادات.

التنشئة الاجتماعية:

لا يوجد تعريف واحد وموحد لكلمة تنشئة ويعود سبب هذا الاختلاف الى تعدد المدارس الفكرية وتباين وجهات نظرها في إطار الفرع المعرفي الواحد من جهة ومن جهة أخرى الى تعدد الفروع المعرفية. فعلم النفس ينظر اليها من الزاوية النفسية في الوقت الذي ينظر اليها الانثروبولوجي من الجانب الثقافي وعالم الاجتماع من جانبها الاجتماعي. غير أن هذا الاختلاف لا يعفينا من محاولة تحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية من خلال الوقوف على المعاني المشتركة بين التعاريف المختلفة.

يعرفها هنري جونسون بانه: "عملية تعلم اجتماعي تساعد المتعلم على أداء أدواره في المجتمع والتفاعل مع الآخرين بطريقة يقرها المجتمع ويعترف بها ويريد بلورتها وترسيخها"[5]. وهي عند ريهشو: "وسيلة يتم بموجبها دمج الأفراد واذابتهم في الجماعة وتأهيلهم للتفاعل والانسجام الايجابي معها"[6].ويذهب سوركين الى أنها:" عمليات التفاعل الاجتماعي التي يتم من خلالها تشكيل الفرد الانساني الذي يأخذ بمقتضاها القيم والمعايير الاجتماعية و يتخذ مكانا معينا في نظام الأدوار"[7].ويعرفها ميتشل دينكن في معجمه بقوله أن " التنشئة هي تلقين الفرد قيم و مقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، بحيث يصبح متدربا على اشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي"[8] لهذا السبب فهو يعتبرها عملية مهمة لكل من الفرد والمجتمع، ذلك أن الفرد يكتسب بفضلها الخبرات والتجارب والمعلومات التي تتطلبها حياته الخاصة والعامة. فيطور نفسه وينمي قدراته وقابليته التي يحتاجها المجتمع ويؤنس الفرد ويربى من قبل الافراد الذين يحيطون به فيكتسب منهم الأدوار الاجتماعية التي تكون مكملة لأدوارهم.

ثمة تعريف اخر يقدمه شافير، عندما يرى ان التنشئة الاجتماعية تعني" انتقال الطفل من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي ويتم هذا الانتقال عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآخرين."[9]

من الملاحظ ان جميع هذه التعريفات تركز على معاني أساسية في مفهوم التنشئة الاجتماعية، فهذه الاخيرة لا تخرج عن كونها عملية يتم بموجبها تحويل الكائن الى كائن اجتماعي يؤدي دورا او مجموعة أدوار في المجتمع الذي ينتمي اليه. وهذا من خلال استدماج القيم والمعايير والمثل والتقاليد والاعراف والعادات ومختلف انماط السلوك والمعارف التي تقدمها له الجماعة التي هي عضو فيها، وهذا عبر وسائل متنوعة ومتكاملة في وظائفها كالأسرة التي تمثل الرحم الاجتماعي الذي يدخله الطفل مباشرة عقب خروجه من الرحم الطبيعي، والمدرسة والمسجد والنادي...الخ

اختصارا للقول فان التنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التي تؤدي ثلاث وظائف:

أولا: تحويل الكائن البيولوجي الى كائن اجتماعي.

ثانيا: ربط المنشأ بعد ذلك بمجتمعه من خلال الأدوار التي يؤديها ضمنه والتي تحدد المكانة التي يحتلها في الجماعات التي يعيش وسطها.

---

[5]- احسان محمد الحسن، علم الاجتماع العائلة، دار وائل للنشر، الأردن، الطبعة1 2005، ص203

[6]- المرجع، نفسه، ص204.

[7]- المرجع نفسه، ص 304.

[8]- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة2 1986، ص225.

[9]- فاطمة المنتصر الكيتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية، وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى،2000، ص45.

ثالثا: من خلال ضبطه بضوابط المجتمع (الدينية والعرقية والرسمية والاخلاقية.[10]

والتنشئة الاجتماعية عملية مستمرة، لا تقتصر على مرحلة محددة، بل تبدأ من لحظة الميلاد، وربما قبل ذلك. وتنتهي بوفاة الفرد. وهذا يعني أنها تأخذ مسارا عمريا يأخذ مراحل أولاها مرحلة الطفولة وآخرها مرحلة الشيخوخة وان كان هناك اختلاف في تحديد المراحل بين تلك المرحلتين. فإنها عموما تنطلق بالأطوار التي يمر بها الفرد في المدرسة والعمل وتكوين الأسرة.

الى جانب المسار العمري تأخذ التنشئة مسارا جنسيا، بمعنى انها تقسم حسب جنس الفرد، فهناك تنشئة خاصة بالإناث وأخرى بالذكور. ويمكن تقسيم التنشئة الاجتماعية الى أنواع هذا حسب وظيفة كل نوع.

1- التنشئة الأولية: والتي تتولى مهمتها الأسرة.

2- التنشئة الثانوية: وتشير الى آثار وتبعات التنشئة الأولية موجهة الناشئة نحو مقاطع جديدة في مجتمعه. وهذا النوع يقع على عاتق المدرسة.

3- اعادة التنشئة: هي تلك العملية التي تهدف الى تصحيح الانحراف الذي أصاب الفرد، وتقوم بها مؤسسات خاصة هي المؤسسات الاصلاحية العقابية. أو تأتي لتكملة ما أنشأته المدرسة وهذا ما تؤديه المؤسسات الجامعية والعسكرية.

4- التنشئة المتوقعة: وهي بمثابة التهيئة المسبقة للفرد كي يتحمل مسؤولية جديدة. ذلك بأعداده وتدريبه سلفا قبل دخوله مجالا اجتماعيا جديدا أو اشغاله موقعا اداريا محتملا أو متوقعا.

5- التنشئة الراجعة: وفيها يتحول المنشئ الى منشأ والعكس. وهذا نتيجة التحولات الاجتماعية التي تجعل الآباء مثلا غير قادرين على مسايرة تلك التحولات فيعتمدون على أبنائهم.

6- تعزيز التنشئة تقوم على ضرورة تعليم أمور جديدة نتيجة تعرض المجتمع الى تغير سريع.

7- تنشئة الشوارع: وتتعلق بالأطفال الذين يعملون ويقيمون في الشوارع كل أو بعض الوقت دون رعاية من أسرهم[11].

تقنيات التنشئة الاجتماعية بين الايجابي والسلبي

يقصد بتقنيات التنشئة الايجابية تلك الأساليب والطرق العملية التي يمكن أن تستخدمها الأسرة في تنشئة الأبناء وتربيتهم وزرع السمات والخصال الايجابية بينهم والتي من شأنها تؤدي الى بناء شخصياتهم بناء قويما ومحكما بما يفضي الى نجاحهم في أدوارهم الوظيفية على أحسن ما يمكن. ومن بين تلك الأساليب تحقيق التوازن بين أساليب اللين والشدة في تربية الأبناء وصقل مواهبهم والاستفادة من قدراتهم. لكن الأسرة قد تعتمد أسلوب الشدة وحدها أو اللين وحده، وهنا نكون أمام طرق سلبية في تنشئة الأبناء بالإضافة الى ذلك قد تسود عادات مشينة داخل الأسرة يكتسبها الأبناء.

[10]- معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،2004، ص23.
[11]- المرجع نفسه، ص 25

العادات:

اننا نقصد بهذه الكلمة العادات الاجتماعية، هذا المفهوم الذي يشوبه فيما تؤكد فوزية دياب كثير من الخلط والاضطراب، ذلك لان المصطلح يختلط بمصطلحات أخرى كالأعراف والتقاليد والطرق الشعبية فالذين عالجوا موضوع العادات الاجتماعية خاصة في اللغة الانجليزية نجدهم يستعملونها بمفهوم واحد، لكن حسب فوزية دياب لا يتم التفريق فيها بين مصطلح customو traditionو usageو manner وبعضهم يتكلم عن folways وmores كأنهما شيء واحد. وتضيف قائلة: إن ما يتحدث عنه أحد العلماء على أنه folkways أي طرق شعبية يتحدث عنه على أنه customأعراف. وما يسميه أحدهم custom أي عرف يسميه آخر mores سنن، في حين يطلق عليه ثالث conventionاتفاق[12].

إن هذا الخلط إنما يدل على صعوبة دراسة العادات الاجتماعية الناجمة عن صعوبة تحديد معانيها تحديدا علميا دقيقا. ولعل السبب في صعوبة خضوع المصطلحات المذكورة خضوعا كليا للتعاريف العلمية الدقيقة، هو اشتراكها جميعا في صفة أساسية واحدة، كونها تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر وأساليب الناس الجمعية في التفكير والعمل.[13]

ومن التعاريف التي تقدم للعادات، تعريف دينكن ميتشيل. فهو يرى أنها: اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع. غير أنه يحيلنا مباشرة إلى علماء الأنثروبولوجيا الذين يكثرون من استعمال مصطلح العادات الاجتماعية والذين يعنون به التصرفات الروتينية للحياة اليومية أو الأحكام الداخلية ضمن الروتين، أو النماذج الحضارية المستمدة من التصرفات المتكررة أو الطبيعة المميزة للكل الحضاري[14].وهناك من يعرفها على أنها: كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا، ويتعلم اجتماعيا.

يتضح من هذين التعريفين أن سمة الاجتماعية هي التي تميز العادات الاجتماعية عن غيرها من العادات الفردية. فهي ظاهرة جمعية تشترك فيها الجماعة وليست ظاهرة فردية شخصية تميز فردا بعينه.

ولهذا فان العادات الاجتماعية تطبع الجماعة أو المجتمع أو الثقافة بطابع خاص. ومن ثم تصبح أسلوبا جماعيا إلزاميا. فهي في أوسع معانيها:

السلوك المتكرر الذي تفرضه الجماعة على الأفراد وتتوقع أن يسلكوه وإلا تعرضوا لاستياء الجماعة وسخطها وانتقامها. وعلى أساس ذلك يكون مفهوم العادات الاجتماعية مفهوما عريضا وواسعا جدا وشاملا كل الشمول لكل ما هو مؤيد ومقبول من طرق العمل وأنماط السلوك التي تمارس اجتماعيا. والتي تم تكوينها والتي ما زالت كذلك آخذة في التكوين ليهتدي بها الناس في معيشتهم بعضهم مع بعض.[15] يمكن القول آن المفهوم الذي خلصت اليه فوزية دياب يضم في طياته أنواعا وفروعا متعددة. فهي تتضمن كل ما تواضع عليه الناس من عادات اتفاقية وعرف ومحرمات وسنن وتقاليد وآداب اللياقة وشعائر وطقوس ومراسم وممارسات وموضات وبدع وتقاليع أو نزوات. لكن مهما اشتركت في خاصية العادات الاجتماعية إلا أنها تختلف عن بعضها البعض في درجة الإلزام الذي تفرضه على الأفراد...

[12]- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت،1980، ص103.

[13]- المرجع نفسه، ص 104.
[14]- دينكن ميتشيل، مرجع سابق، ص 70.
[15]- المرجع نفسه، ص70.

ومهما اشتركت في أصلها أي في كونها عادات اجتماعية فهي تختلف عن بعضها البعض. وذلك من حيث درجة الإلزام الذي تفرضه على الأفراد، فالعرف والمحرمات مثلا أكثر وطأة وإلزاما. وهذا الاختلاف في درجة الإلزام يرتبط به الاختلاف من حيث الجزاء الاجتماعي، فكلما كان الإلزام كبيرا كلما كان العقاب المترتب عن الإخلال به كبيرا. فلا يكفي الامتعاض من خرق العرف بل يصل الأمر إلى حد الطرد والنبذ من الجماعة أو القبيلة مثلما يحدث في مجتمعات الغجر عندما يتزوج أحد أفراد القبيلة من خارجها.

كما تختلف العادات الاجتماعية من حيث مدى السيادة أو الشيوع والانتشار، فبعضها خاص بإقليم معين كعادة الثأر بالنسبة لسكان صعيد مصر، وبعضها يتعلق بالمحيط الثقافي كله كعادة ستر الجسد بالملابس، أو عدم ستره لبعض القبائل البدائية، وبعضها تختص به طائفة معينة من الناس كرجال الدين والحرفيين أو المزارعين مثلا. واختلافها يكمن أيضا في دوامها وبقائها، فالموضات والبدع والتقاليع عادات وقتية وقصيرة الأجل وعابرة تظهر ثم ما تلبث أن تختفي أو يجري تحويرها. وهناك عادات راسخة وعريقة تتسم بالدوام النسبي، ومن أمثلتها العادات المتعلقة بالزواج وتربية الأطفال، وعادات الطعام.

هذا عن مفهوم العادات الاجتماعية بشكل عام، أما عن عادات الطعام التي هي موضوع هذه الدراسة فإننا نقصد بها تلك الممارسات المتعلقة بطهي الطعام وبعدد الوجبات وآداب المائدة أو الأكل، وكيفية تناول الطعام.[16]كما تعرف "بانها تنطوي على مجموع السلوك والممارسات المتبعة في اعداد الطعام وتدبيره واستعماله، والتي تتأسس بدورها على رواسب ثقافية ومنظومات اعتقادية تنهل من تصور المجتمع للكون، ولنظام الأشياء وبدئها الاولي، فهي ما يبرر مساراتها واختلافاتها. انها مجموع الطرائق التي ينتج ويستهلك ويدبر بها الطعام، والتي تسوغ وتحافظ على استمراريته بفضل الأنماط التنشئوية الاجتماعية.[17] وهذه الممارسات ذات طبيعة اجتماعية ترسخت نتيجة التكرار، وانتقلت من السلف الى الخلف. وقد يبدو بعضها فرديا كغسل اليدين قبل الأكل وبعده، وتنظيف الأسنان، ولكن العادات الفردية كثيرا ما ترتبط بالعادات الاجتماعية ارتباطا كليا في الحياة الاجتماعية، ذلك أن العادات الفردية قد تتحول الى عادات اجتماعية اذا مارسها عدد كبير من أعضاء الجماعة، والعادات الاجتماعية تخلق بالضرورة عادات فردية، لا بل إن هذه الأخيرة حينما تكتسبها الأجيال الناشئة وتغرس في نفوسهم تصبح شرطا لبقاء واستمرار الأولى[18] ولهذا فان عادة تنظيف الأسنان مثلا بقدر ما تبدو فردية بقدر ما هي اجتماعية في جوهرها، ذلك أنها تغرس في الأطفال داخل الأسرة بفضل التعلم والاكتساب.

قد يتساءل البعض عن أصولها؟ فيمكن القول إن عادات الطعام في المجتمع الجزائري قد تتعدد أصولها، فبعضها قد يجد أصله في الدين، فمن المعروف أن الإسلام جاء جامعا للآداب كلها بما في ذلك الأكل، فقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن.

ويعود الأصل الثاني لتلك العادات إلى الممارسات الشعبية التي تكرسها التقاليد والمعتقدات والأمثال. وهذه الممارسات كثيرا ما تختلط بالدين كذلك. أما المصدر الثالث لنشوء وتكون عادات الطعام يمكن إرجاعه إلى الحداثة. ذلك أن التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري بشكل عام، والاسرة بشكل خاص نتيجة التصنيع والتحديث وما نتج عن ذلك من تغيير في الشروط الاجتماعية كتغير بنية الأسرة من الأسرة الممتدة التي تمثل الشكل التقليدي

[16]- ينظر محمد الجوهري، الانثروبولوجيا: أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
[17]- عبد الرحيم العطري، مرجع سابق، ص221.
[18]- فوزية دياب، مرجع سابق، ص106-107.

للأسرة، الى الأسرة النووية الصغيرة الحجم التي تميز المجتمع الحديث. وكذا الشروط الاقتصادية نتيجة دخول المرأة عالم الشغل. والى جانب الأسرة والمدرسة يوجد التلفزيون والفضائيات والأنترنت.

دور عادات الطعام في التنشئة الاجتماعية:

ان الجلوس أمام المائدة يتضمن تنشئة اجتماعية للأفراد والجماعات فممارسة جملة من طقوس الاكل يمرر من خلالها الكثير من المضامين والايحاءات التربوية التي تغرس في الناشئة. فعبر الطعام "اعدادا واستهلاكا وتدبيرا وحفظا. وعن طريق آلية المقبول والمرفوض في آداب المائدة، نتعلم كثيرا من الممارسات والقواعد التي يتوجب احترامها لتأكيد الاندماج الاجتماعي.[19] غالبا ما يتم الجلوس امام المائدة والالتفاف حولها بشكل دائري يوحي بمركزية الطعام وسلطته المقدسة يتجلى ذلك في تمكين الطفل من العادات التي تحافظ على صحة الفرد ونظافته وتعليمه آداب الاكل فقد أجاب كل افراد العينة المبحوثين أن الأكل يبدأ بالبسملة وينتهي بالحمدلة والدعاء لصاحبه، فقد تمرر خلال هذه الممارسة رموزا ودلالات دينية خاصة عندما نحمد الله على نعمه وكأن الطعام يتحول الى وسيط ننتقل به من الأرضي الى السماوي.[20]

1- **عادات الطعام والصحة**:

إذا كانت التنشئة الاجتماعية تهدف الى صنع الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب القادرة على أداء الأدوار الاجتماعية المنوطة بها فان عادات الطعام التي تمارس داخل الأسرة تسهم في التربية الصحية للطفل، ومما لا شك فيه أن كثيرا من الأمراض التي تصيب الأطفال، لا بل الكبار أيضا هي نتيجة عادات سيئة ومعتقدات جرى تكريسها في النفس، أو انها انحراف عن عادات أصيلة كان من المفروض أن تغرس في الناشئة. من تلك العادات المغلوطة تكريس مفهوم "العشا" وهو ما يعرف عندنا بطعام العشاء. في التصور الشعبي، فالعشاء له الأفضلية على الغداء، وربما كان السبب في هذا التفضيل هو تعذر التقاء أفراد العائلة على وجبة الغذاء بسبب غياب أحد أو أغلب أفراد العائلة نتيجة ظروف العمل. لكن "العشا" فقد أعطيت له دلالات اجتماعية كرست تلك الأفضلية. فقد صار في الذهنية الشعبية تعبيرا عن التكريم والتشريف، فحينما تقدم الدعوة الى أحدهم فهي في الغالب دعوة الى العشاء. وتفضيل العشاء على الغذاء يعني تناول أكثر وأفضل وأجود وأحسن مما يتوفر للعائلة من الطعام، وهذا ما يترتب عنه من نتائج مضرة بالصحة. ولا شك أن المثل الشعبي" تغدا وتمدا وتعشا وتمشا" يتضمن وعيا بهذه الحقيقة لهذا فانه يأتي كعلاج لتلك العادة الشعبية. الى جانب هذا ثمة معتقدات شعبية تتعلق بأنواع من الطعام أو بأعشاب يعتقد في فائدتها الطبية للأطفال أو حتى للكبار على حد سواء. وتناول الأعشاب الطبية صار ظاهرة متفشية لا تخضع لأي ضوابط ومعايير طبية، مما يعني أن الصحة والمرض لا تخضعان للتصورات العلمية الصحيحة بل الى تصورات أو معتقدات شعبية مغلوطة في أكثرها، ولهذا فبدلا من أن نتعهد الناشئة صحيا بالأساليب العلمية نرهن صحتهم وأجسامهم الى طرق ومعتقدات غير علمية.

أما فيما يتعلق بعادات غسل اليدين قبل الأكل وبعده والتي تبدو فردية، فإنها في الواقع تتكون وتنشأ داخل الأسرة وبتوجيه منها. فللوالدين الدور الأكبر في تشكيل الوعي بأهمية النظافة بسبب قدرتهما على المراقبة، وهذا الدور يكمله المعلم بتقديم القيم الصحية والدينية، وذلك بتعريف النشأ بخطورة الميكروبات، والعمل على اطلاعهم على

[19]- عبد الرحيم العطري، مرجع سابق، ص93.
- [20]المرجع نفسه، ص 183.

الأحاديث المتعلقة بالنظافة. ان لهذه الأحاديث والمعرفة الصحية أهمية في غرس هذه العادة لدى النشأ والأسر التي شملتها الدراسة تعي ذلك، فقد أكدت كلها على تعليم أطفالها غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وتنظيف الأسنان.

2- عادات الطعام وطبيعة العلاقات الأسرية:

قد تكون عادات الطعام مؤشرا على نوع وطبيعة العلاقات التي تسود داخل الأسرة، وهذا يتحدد في الواقع بنوع الأسرة. وفي المجتمع الجزائري نميز بين نوعين من الأسرة: الأسرة النووية وهي جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين، وتكون كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي. هذا النوع يتزايد انتشاره في المجتمعات الحضرية، لكن هذا لا يمنع من وجودها في المجتمعات الريفية. وهذا بسبب التحديث الذي طال الريف أيضا.

والنوع الثاني هو الأسرة الممتدة التي تتكون عن طريق اضافة أزواج آخرين الى الأسرة النووية، أي انها تتكون من أسرتين صغيرتين أو أكثر ترتبطان فيما بينهما من خلال امتداد علاقة الابن المتزوج بوالديه. هذا النوع يمثل العائلة التقليدية في مقابل العائلة النووية التي هي عائلة حديثة، تتعرض الى فقدان التقاليد والعادات والقيم التي كانت تلعب الدور الأساسي في وحدة وتماسك العائلة الممتدة، ولهذا تكون علاقاتها الاجتماعية والقرابية ضعيفة ومفككة[21].

تختلف عادات الطعام بين النوعين من الأسرة من حيث اعداد الطعام واستهلاكه. مما يترتب عنه تأثير في العلاقات بين أفراد الأسرة. ففي الأسرة الممتدة يتم اعداد الطعام وتحضيره جماعيا، ويتم تناوله على مراحل. اذ يتقدم الرجال على النساء. وإذا كانت الاعراف فرضت نوعا من الوقار الذي يتحكم في السلوك*، ذلك أنه من باب الاحترام ألا يجتمع على المائدة زوجة أو زوجات الأبناء مع الأب أو الشيخ. لكن هذا السلوك قد لا يخرج عن علاقة السيطرة التي تميز المجتمع العربي، وتحكم العلاقات بين أفراده، فقد بين هشام شرابي أن الأسرة والمؤسسات الأخرى كالمدرسة تندرج ضمن بنية اجتماعية تدخل عناصرها في تفاعل جدلي. فالعائلة باعتبارها الخلية الأساسية في تكون المجتمع، وباعتبار الدور الخطير الذي تؤديه في تكوين الشخصية، فهي التي تشكل الأدوار وتصنع نمط العلاقات السائدة بين الأفراد، وفي الوقت ذاته تمثل نتاج هذا المجتمع بعلاقاته السائدة. "ان القيم التي تسود العائلة من تسلط وتسلسل وتبعية وقمع هي التي تسود العلاقات الاجتماعية بصورة عامة. ان بنية العائلة القائمة على السلطة الفوقية تقابلها بنية اجتماعية مماثلة أيا كان النظام الاجتماعي، من حيث هي نظام، تقوم العائلة في آن واحد بتجسيد ودعم النظام الاجتماعي الأكبر. كما ان جميع المؤسسات التي تمثل دور الوسيط، بما في ذلك المؤسسات التربوية والدينية تقوم هي أيضا بتعزيز القيم والمواقف التي بواسطتها تدرج العائلة أعضاءها في الحياة الاجتماعية"[22].

تتم عادة تناول الطعام في المجتمع الجزائري مجتمع الدراسة على مراحل أو بالأحرى على أساس تراتبية يكون الرجال في أعلى الهرم والأطفال في القاع. ومن جهة أخرى تأخذ المرأة مرتبة تالية على الرجال. ان هذه التراتبية التي تجري على الصعيد الأسري، لا شك تسهم في تكرار هذا النمط على صعيد أوسع وهو الصعيد الاجتماعي. وعلى هذا الأساس فان التقاليد تسهم على مستوى الأسرة من خلال عادات الطعام في خلق نمط معين من الشخصية، فمن جهة نجد الشخصية التسلطية التي يمثلها الأب الذي من المفروض أن يكن النموذج الذي ينبغي على الأطفال محاكاته. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الشخصية المستضعفة والعاجزة هي شخصية المرأة.

---

[21]- احسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص114،115.

*- تبرير رب اسرة ممتدة قال ان عملية تناول الرجال للطعام قبل النساء تتم هكذا: "دائما يقدم الرجل احتراما وتقديرا، وهذا للحفاظ على الحياء الذي يميز افراد الاسرة"

[22]- هشام شرابي مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981.ص32،33.

ومن الأدوار التي تؤديها الوجبات الغذائية في تحديد نمط العلاقات الاجتماعية فقد لوحظ من خلال بعض الدراسات الاجتماعية التي أجريت على بعض المجتمعات ان مقدار ونوع الطعام الذي يختاره شخص ما يؤثر على مدركات الآخرين له فنجد في أمريكا مثلا ان النساء اللائي يتناولن وجبة كبيرة كان يجري اعتبارهن اقل انوثة مقارنة بالنساء اللاتي يأكلن وجبات أصغر. كما ان الرجال الذين يتناولون السلطة كإحدى المشهيات كان يتم النظر إليهم كأقل رجولة وخشونة مقارنة بمن يتناولون اللحم كطبق رئيسي في طعامهم.[23] فطبيعة الطعام تعبر عن طبيعة الشخص الذي يتناوله، وعن نوع العلاقات القائمة بين الافراد.

وإذا كان هذا هو حال الأسرة الممتدة في المجتمع الجزائري، من غير أن نقع في تعميم متعسف، فان الأسرة النووية وهذا حسب العينات المدروسة يتم فيها تناول الطعام جماعيا في شكل وحدة متجانسة، بحيث يتم الجلوس حول مائدة الطعام معا وفي وقت واحد. وقد كانت تبريرات افراد العينة لتقوية العلاقات بين أفراد العائلة (بين الرجال والنساء خاصة) وخلق جو عائلي ممتع، لان افراد العائلة عددهم قليل ويسود التفاهم بينهم والتضحية بينهم. وهذا أمر ضروري في الأسرة الصغيرة. يمكن القول على غرار ما ذكره العطري في كتابه قرابة الملح ان تناول الغذاء جماعيا قد يؤسس لصناعة روابط اجتماعية تفوق الروابط التقليدية المفتوحة على العرق والدم.[24]

عادات الطعام والتنشئة المتوقعة:

تعد التنشئة المتوقعة أحد أنواع التنشئة الاجتماعية، فهي تقوم على تهيئة الفرد لأدوار محتملة أو متوقعة. وبالنسبة للمرأة الجزائرية فانه يجري اعدادها وهي لا زالت طفلة تلاعب دماها لتهيئتها لدورها المستقبلي الذي ينتظرها كزوجة. ولعل المعيار الذي يتم بموجبه الحكم على نجاحها أو فشلها في هذا الدور هو قدرتها ومهارتها في اعداد الطعام. ولهذا فان هناك أساليب تعتمدها الأم في تنشئة ابنتها على اعداد الطعام، وتعلم مهاراته، وفي الوقت ذاته تضرب لها الأمثال وتسرد لها الحكايات عن تحمل الامهات المسؤولية الكاملة في القيام بهذا الدور سواء حالفها النجاح أو الفشل في ذلك. وقد جاء المثل الشعبي معبرا تعبيرا صادقا عن هذه الوضعية قائلا: "اقلب القدرة على فمها تشبه البنت أمها" مما يعنى أن الفتاة التي يتم اعدادها هي نسخة طبق الأصل لأمها. غير ان ما يجب التنبيه اليه أن لوسائل الاعلام اليوم، خاصة التليفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال ما يقدم من حصص وبرامج تبرز فيها طرق اعداد الطعام وتقديمه.

3- عادات الطعام ودورها في تربية وتنمية الذوق الجمالي

يتم اكتساب الذوق الجمالي من خلال الثقافة السائدة في المجتمع. فالثقافة هي التي تنمي هذا الذوق من خلال تنمية وظيفة الحواس على ذلك. "ان الطعام هام جدا لقياس مستوى المعيشة والقيم الجمالية لمجتمع معين لأنه يعكس بأدواته وأنواعه الثراء النفسي والاجتماعي لهذا المجتمع أو ذاك"[25] فلعادات الطعام دورا فعالا في ذلك، ان تقنية طبخ الطعام وطريقة تقديمه وتشكيله ووضعه بصورة معينة على المائدة، واختيار الاواني المناسبة لكل طبق منه وتنكيهه وتبهيره وطريقة تزيينه مما يجعله جذابا، كل هذا من شأنه أن يسهم في تشكيل ذوق جمالي لدى الطفل. وقد بينت الدراسات في علم النفس ان الاذواق عند الطفل تتكون تدريجيا، وما يميز هذه المرحلة الطفولية، غلبة المنتجات

[23]-يحي مرسي بدر، دراسات انثروبولوجية في المجتمع الليبي، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص34.
[24]- عبد الرحيم العطري، مرجع سابق، ص.93.
[25]- ابراهيم الحيسن، الأطعمة والاشربة في الصحراء، انثروبولوجيا الطبيخ وآداب المائدة عند البضان، الطبعة الأولى 2004، الدار البيضاء، ص 44

الحلوة و المغذية ذات الخصائص النشوية و استبعاد الخضار خاصة بين السنتين والعشر سنوات[26].و خبرة الاكل عند الطفل غالبا ما تتاثر بمن يقدم له الطعام فيتولد عن ذلك نوعا من الاحاسيس و المشاعر فالتغذي على لبن الام ذو المذاق الحلو يعني المتعة والإنعاش والارتياح.

وقد لا تكون عادات الطعام مسؤولة عن وضع حدود بين الطبقات فقط بل قد تتعدى الى كون الانتماء الى الطبقات العليا في المجتمع جعلها تتميز بذوق جمالي "فإذا كان النهش واستعمال الايادي فعلا طعاميا اوليا، فان آداب المائدة في مستواها الغربي، ستستعيض عن اليد بالشوكة والسكين، وسيجري التخلي رويدا رويدا عن اليد والاعتماد بالتالي على وسيط معدني، سيصير دليلا على الذوق الرفيع والانتماء الى المراتب الاجتماعية العليا."[27] ان عادات الطعام لم تعد فقط المعيار الذي من خلاله نصنف طبقيا وانما به ندخل عالم الفن وممارسة الاستيطيقا كإعطاء الطعام اشكالا مختلفة للطيور والحيوانات والأشجار والفواكه والبنايات. هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك من ربط الطعام بمعيار الجمال القائم على النحافة المتناهية،[28]وعلى خلاف ذلك تظل المراة النحيفة في بعض المجتمعات منبوذة وتنعت بأقبح الصفات. ولذلك تلجأ الفتيات الصحراويات خلال مرحلة البلوغ الى التسمين وإرغامها على الاكل باستخدام الأساليب العنيفة معها[29]،فالمرأة السمينة تمثل عندهم قمة الجمال عندهم

4- عادات الطعام وتشكل هوية الانتماء

مما لا شك فيه أن بين الهوية وثقافة الطعام وعاداته علاقة متينة. فالهوية مختلفة تتقاطع وتتكامل بينها فالأسرة والعشيرة والقبيلة والقرية والمدينة والمجتمع والحزب والدين، كلها تعمل على تشكيل مستويات من الانتماء الهوياتي. وثقافة الطعام وعاداته من شأنها أن تصنع هوية معينة لدى أفراد المجتمع الواحد. فان كانت العولمة اليوم تعمل على توحيد ثقافة مشتركة للطعام فان عادات الطعام هي من تحافظ على خصوصية الثقافات الاجتماعية. فهي لا تكتفي بالتمييز بين المجتمعات بل تميز جماعة عن أخرى في المجتمع الواحد. فبالرغم من أن المواد الاولية واحدة الا أن الاختلاف في تقنية الطبخ تختلف من منطقة لأخرى. فعلى سبيل المثال كان الحمص غذاء أساسيا في منطقة البحر المتوسط لعدة قرون. ففي جنوب فرنسا كان يطحن الى دقيق ويستخدم في صنع فطائر كبيرة تسمى سوكا. وفي المغرب يتم طحنها مع التوابل ولحم الخروف والخضرات لصنع طاجين... وفي سوريا يتم خبزها مع صلصة الطماطم الحارة والبذنجان والكوسا لعمل طبق خزفي يسمى المسقعة. ان هذه الوصفات تستخدم الطعام نفسه لإنشاء طبق مختلف. هذا ما يجعل منطقة البحر المتوسط تتميز بالتنوع والابتكار. [30]

لقد أصبح اليوم كل مجتمع يعرف بأطباقه وأكلاته التي تميزه عن غيره، والتي يعمل على الترويج والدعاية لها عبر القنوات التلفزيونية ومن خلال الفاعلين في مواقع التواصل الاجتماعي.

ان عادات الطعام أصبحت وسيلة لتفرد الناس وتميزهم كما انها تعمل على زرع نوع من التميز والتفرد بين المجتمعات، فعادة أكل أرجل الضفادع عند الفرنسيين جعلت الانجليز ينعتونهم بالضفادع. وقد اشتهر المصريون

[26] -Faustine Régnier, Anne L'huissier, Séverine Gojard, sociologie de l'alimentation, édition la découverte,paris,2006.p5.

[27]- عبد الرحيم العطري، مرجع سابق، ص37.

[28]- ينظر كارول م.كونيهن، ترجمة سهام عبدالسلام، انثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع و المعنى، والقوة، المركز القومي للترجمة،2013،ص194.

[29]- ينظر ابراهيم الحيسن، مرجع سابق، ص90.

[30] - Carol Helstosky, food culture in the Mediterranean-Food culture, ken albala, series Editor, green wood. press west, Connecticut, London 2009, p1ينظر

بأكلة الملوخية، كما عرف الايطاليون بالبيتزا والسباكيتي. أما طبق الكسكسي يبقى ميزة المجتمعات المغاربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة.

وأكثر من ذلك ونتيجة لذلك الدور الذي تلعبه عادات الطعام في تشكيل الخصوصيات الثقافية، فقد تم نحت مفاهيم في علم الاجتماع تتعلق بأنواع الطعام، كالماكدونالدية نسبة الى ماكدونالد وهذا الاصطلاح يعكس تطورا اجتماعيا واقتصاديا يوضح طريقة اعداد الطعام واستهلاكه السريع في المطاعم، الذي بدأ ينتشر أكثر فأكثر في المجتمع الأمريكي وباقي مجتمعات العالم.[31]

وفي المجتمع الجزائري نلاحظ التمايز والتنوع في الاكلات الشعبية التي تقوم في المناسبات والأعياد والحفلات واستمرار هذا التنوع يدل على التشبث بالتقاليد التي تخلق هوية الانتماء الى المجتمع. فالانتماء يكون باللغة والأرض والدين لكن أيضا بعادات الطعام كأحد أشكال العادات. ومن الملاحظ أن التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تجسد التأكيد على هذا البعد الثقافي في تشكيل هوية الانتماء لدى الناشئة الى مجتمعاتهم. وبغض النظر عن الاختلاف والتنوع في العادات من منطقة الى أخرى، فان هناك عادات مشتركة ربما سادت في كل بيت، فمثلا طعام" الكسكسي" هو الطعام المفضل لدى جميع الاسر الجزائرية. وهذا مهما اختلفت في طريقة اعداده وتحضيره. فقد صرح أحد أفراد العينة المبحوثين أن يوم الجمعة باعتباره يوم نهاية الأسبوع أصبح يوما مخصصا ومعروفا بتحضير وتناول طبق الكسكسي بشكل جماعي حيث يجتمع كل أفراد العائلة، بعدما عرفوا طيلة أيام الأسبوع تفرقا بسبب ظروف العمل. هذا التجمع يخلق نوعا من الترابط والتلاحم" فتناول الوجبات الغذائية بشكل جماعي يساهم في بناء روابط غير رسمية تفوق أحيانا الر وابط التقليدية المنفتحة على العرق والدم. فالتغذية تعبر في كثير من الأحيان عن النظام الرمزي الذي يؤطر بناء الجماعة واستمراريتها"[32] يمكن القول ان عادات الطعام تعد الميزة الفارقة بين الجماعات الإنسانية ومن خلالها اكتسبت هويتها وخصوصيتها. يمثل ممارسة فعل الطبخ نشاطا اجتماعيا، فطريقة طبخ الطعام والأسلوب الذي به يؤكل ومع من يتم تناوله، ميزات تختص وتختلف بها ثقافة عن أخرى. والمشاركة في الطعام يعمل على بقاء الجماعة وتوطيد العلاقة واستمراريتها بين الافراد والجماعات. ان رفض الدعوة الى الطعام دليل على العداوة. والممالحة" كليت ملحه" حسب أحد المبحوثين (م. ك 43 سنة) توطد أواصر العلاقة بين الأفراد، فهي لا تكاد تختلف عن رابطة الدم والحليب الذي يعطى للطفل عن طريق الرضاعة، فكلها تلتقي في تمتين الروابط الاجتماعية. ان عادات الطعام أصبحت تمثل نسقا تواصليا ولغة مرمزة محملة بالدلالات والمعاني، تربى عليها الناشئة.

5- عادات الطعام وسيلة وأداة للتواصل بين الافراد

بين الطعام والثقافة علاقة قوية، فالطعام كما أسلفنا ذكره يتلون وينصبغ بالثقافة التي ينتمي اليها، فقبل أن يكون من الاحتياجات البيولوجية للإنسان فهو معطى اجتماعي ومنتوج ثقافي بالدرجة الأولى. ان الانسان في اي مجتمع كان، لا يطبخ لمجرد اشباع دافع الجوع ولا يطبخ لأجل الطبخ وانما لان هناك معاني يريد نقلها لغيره وكأن الطعام لغة رمزية يريد أن يمرر عبرها رسائل لغيره، فقد يتعذر عليه أحيانا نقل الكثير من المعاني، والطريقة الأفضل التي قد تساعده على التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، هي فعل الاكل. لقد اجمع اغلب افراد النساء من العينة المدروسة أنهن كثيرا ما يلجأن الى تأديب أطفالهن من خلال حرمانهم من الطعام. فسحب الاكل من الطفل يمكن أن يرمز الى سحب الحب منه، ورفض الدعوة الى مأدبة غذاء قد ترمز الى قطع العلاقة والتواصل معه و قد وضح مارسيل موس في دراسته حول الهدية ان هذه الأخيرة تشمل "التزاما من ثلاثة أجزاء: ان تعطي و ان تأخذ، وان ترد. و رفض الهدية

[31]-معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة1، 2000، ص293.
- [32]عبد الرحيم العطري، مرجع سابق، ص93.

إهانة جسيمة يمكن ان تقطع العلاقات"[33]. كما أن وجبة الطعام قد تحقق جملة من الأعمال الاجتماعية والثقافية، فالأعياد والوجبات الخاصة. كثيرا ما تعمل على تجميع الناس وتمتين أواصر الترابط بين الأسرة والأصدقاء والجيران والمواطنين. وهذه الرمزية تعرف تعددا وتنوعا حسب الثقافة السائدة في مجتمع ما. "فقد تكون رمزية الطعام واضحة تمامًا: يمكن تشكيل رغيف الخبز ليشبه قديسًا مسيحيًا، أو يمكن أن تكون الرمزية أكثر تجريدًا: في بعض الثقافات، أصبح الفول مرتبطًا بالموت والموتى. وفي كلتا الحالتين، قام الناس بنشاط بإسناد معاني للطعام تتجاوز التغذية البسيطة والقوت."[34] ويبقى الطعام كيفما كان يؤدي وظائف مهمة حيث يجعل من القيم والرموز المجردة أكثر واقعية وأكثر تحقيقا للتواصل. والطعام يشير كذلك الى تذكير أفراد المجتمع بالتزاماتهم. بل قد نذهب الى أكثر من ذلك على أن الطعام يعد واحدا من أهم الاطر الاجتماعية التي تعمل على ربط الفرد بالذاكرة الجماعية، فيجسد بذلك الانتماء والتواصل معا.

6- عادات الطعام ودورها في تحديد الانتماء المكاني وتعلم الضبط الزمني

تعمل عادات الطعام على تقديم وظائف عدة منها وظيفة المكان في المطبخ الذي يجري فيه اعداد الطعام وتناوله يرتبط في إدراك الطفل عن الأقسام الأخرى من البيت التي ينبغي ان يدرك وظائفها أيضا. ان الطفل لا يكتسب من ثقافته القيم والمهارات والمعارف والمعايير الاجتماعية فقط، وانما يكتسب أيضا منها اللغة ودلالاتها، والتفسيرات اللغوية الشائعة والايماءات. ودلالة الزمن والمسافات أي تقدير الزمن واستخدامه، وكذلك دلالة المسافات في المجتمع[35].تلتمس دلالة الزمن في مواعيد الوجبات. فالتقاليد الجارية في المجتمع الجزائري تتأسس على أربع وجبات، تتوزع على أوقات متناسبة، فالطفل يبدا يومه بفطور الصباح الذي يسبق الذهاب الى المدرسة، ثم يأتي موعد الغداء الذي يتزامن مع منتصف النهار، ثم يتبع "بقهوة المساء" التي تتزامن مع خروج الطفل من المدرسة وعودة الاب والام من العمل. وأخيرا تأتي وجبة العشاء. ومن الواضح ان هذه المواعيد تدل على تربية الطفل على احترام مواقيت الزمن والالتزام بها. ويجري التشديد عليها وهذا ما أكدته اغلبية الاسر المستجوبة. فان مثل هذا العمل يخلق عادة الانضباط عند الطفل. وقد بين صاحب كتاب الاطعمة والاشربة "ان طعام العائلة عند البيضان لا يكون فرديا، اذ يتم الانتظار لتجتمع العائلة كاملة لتناول الوجبة. انهم يحرصون على هذا التنظيم بشكل ينسجم مع ما توصل اليه عالم الاجتماع جورج سيمل الذي اعتبر ان التنظيم والتوقيت في المجتمع، ظهر من الحاجة الى تنظيم وجبات الطعام اليومية. "[36] لكن نظرا لخروج المرأة للعمل ترتب عنه عدم اجتماع الاسرة حول مائدة الطعام مما تسبب في خرق هذا التنظيم او هذا النموذج الثقافي الذي اعتاد عليه الطفل الامر الذي كان له الأثر السلبي عليهم، وكان من نتائجه اهدارهم للوقت وعدم تثمينه. ان هذا الالتباس الذي وقع فيه الأطفال من عدم احترامهم للوقت يعود الى التناقض الموجود بين نمطين ثقافيين. يذكر أدوار هول وهو احد الباحثين المتخصصين في دراسة الزمان ان هناك اختلاف بين ادراك الأطفال الأمريكيين للزمان وبين الهنود الحمر عندما يكونون امام موقف يتطلب الانتظار. فقد وجد ان الطفل الأمريكي كثيرا ما يصاب بالقلق والتذمر. في حين ان الطفل الهندي لا تسمع منه أي تذمر...وواضح ان مثل هذه الأنماط الثقافية لا بد ان تبدأ في سن مبكرة.[37] لذلك يمكننا القول

ان احترام المواعيد وتقدير الوقت يعد سلوكا ثقافيا، وان النماذج الثقافية الخاصة بالوقت تتموقع مبكرا في حياة الفرد وبهذا النوع من السلوك يجري تعلم الانضباط في المجتمع الغربي للأطفال منذ الطفولة، وهذا من اجل اندراجهم ضمن النسق الثقافي السائد الذي يقوم على النظر الى الوقت باعتباره مالا فالوقت مال او ذهب.

---

[33]- ينظر كارول م.كونيهن، ترجمة سهام عبدالسلام، انثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع و المعنى، ;القوة، المركز القومي للترجمة،ص158.

[34] - Carol Helstosky ,OP.CIT.P131.

[35]- سميرة احمد السيد، علم الاجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة،الطبعة3، 1998،ص53.

[36]-إبراهيم الحيسن، مرجع سابق، ص53.

[37]- ادوارد هول، رقصة الحياة: البعد الآخر للزمان، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة،1984، ص181.

وقد اهتم التراث الشعبي الجزائري وخاصة الامثال بمثل هذه القضايا. ان التشديد على الالتزام بمواعيد الاكل الذي يعبر عنه المثل الشعبي (اللي فاته الطعام يقول شبعت) يعتبر تقنية من التقنيات الفعالة في تنشئة الطفل على احترام الوقت والتقيد بالمواعيد في الحياة العملية خارج البيت. وفي المدرسة وفي المصنع وفي جميع المؤسسات الاجتماعية.

والتي غالبا ما يطغى عليها الطابع التكراري او التعودي، سواء عند استهلاكه بشكل جماعي او عند تقديمه للغير. ونظرا للأهمية التي يكتسيها الطعام عند الإنسان فانه اخذ من المعاني والسمات الاجتماعية والثقافية ما جعله الأداة المؤهلة للتواصل وتوطيد العلاقات والترابط بين الناس. فهو غني بالدلالات التي تنقل عبره.

خاتمة:

ان ارتباط العادات الغذائية بالثقافة المجتمعية السائدة، جعل للعادات الغذائية في المجتمع الجزائري دورا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية فهي المسؤولة عن تنشئة الأفراد عن الاقتناء الغذائي. وعلى اكتسابهم ثقافة المجتمع المحملة بجملة الرموز والمعاني والقيم. فحاجة الانسان للطعام لا تخضع للعوامل البيولوجية، بل اختيار الاطعمة الموجودة في بيئته تخضع للإكراه الثقافي. وقد كان لارتباط آداب المائدة بالثقافة الدينية الإسلامية، الأثر الكبير في التنشئة الاجتماعية للطفل من حيث الاقبال على بعض الأغذية او النفور منها.

ان اصطباغ العادات الغذائية بالثقافة السائدة في المجتمع جعل من العادات الغذائية تعيد تكريس التراتبية في المجتمع بين الذكور والاناث خاصة (المرأة والرجل).

وقد تحمل عادات الغذاء في ذاتها لغة رمزية تمكن الأفراد من التواصل والتفاهم بينهم. كما أنها المسؤولة عن صناعة التميز بين الأفراد والطبقات. وصناعة الهويات الفارقة بين الطبقات وبين المجتمعات كذلك.

ان لعادلات الطعام دلالات زمانية ومكانية، تمكن الفرد من خلالها التقيد بالمواعيد كما تعلمه الانضباط واحترام المواقيت. فالتوقيت وتعلم النظام كان نتيجة من نتائج حاجة الانسان لتنظيم وجباته الغذائية. والى جانب ذلك فإنها تعزز الذوق الجمالي لدى الناشئة حتى في أحاديثهم واوصافهم يتم ربط الملح بالصفات الجمالية، اذ غالبا ما توصف المرأة مثلا بذات الوجه المليح او القد المليح.

كما أن لبعض الممارسات الغذائية المرتبطة بالأسر الجزائرية ت آثار مضرة بالصحة كتقديم وتفضيل وجبة العشاء على الوجبات الاخرى. وبعضها قد لا يستوفي شروط الوجبة الكاملة من حيت الفيتامينات الضرورية وكذا العناصر الطاقوية، مما يكون لها آثارا سلبية على مردودية العمل.

المراجع:

1- إبراهيم الحيسن، الأطعمة والاشربة في الصحراء، انثروبولوجيا الطبيخ وآداب المائدة عند البضان، الطبعة الأولى 2004، الدار البيضاء المغرب.

2- احسان محمد الحسن، علم الاجتماع العائلة، دار وائل للنشر، الأردن، الطبعة1 2005.

3- ادوارد هول، رقصة الحياة : البعد الآخر للزمان، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة،1984.

3-دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة2 1986.

4-فاطمة المنتصر الكيتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية، و علاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى،2000.

5- فوزية دياب، القيم و العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية،بيروت،1980.

6- سميرة أحمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة،1998.

7-عبد الرحيم العطري، قرابة الملح، الهندسة الاجتماعية للطعام، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى،2016 الدار البيضاء.

8- محمد الجوهري، الانثروبولوجيا : أسس نظرية و تطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

9-معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،2004.

10- معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،2000،

11 - هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981..

12- يحي مرسي بدر، دراسات انثروبولوجية في المجتمع الليبي، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

13- ينظر كارول م.كونيهن، ترجمة سهام عبدالسلام، انثروبولوجيا الطعام والجسد، النوع و المعنى، والقوة، المركز القومي للترجمة،2013.

المراجع باللغة الأجنبية:

-1 Carol Helstosky food culture around the word, Carol Helstosky, food culture in the Mediterranean-Food culture, ken albala, series Editor, green wood. press west, Connecticut, London 2009.

2-Faustine Régnier, Anne L'huissier, Séverine Gojard, sociologie de l'alimentation, édition la découverte,paris,2006..

3- Igore de garine, Anthropologie de l'alimentation et pluridisciplinaire, Ecol.Hum., vol.v, n° 2,1988

4- Parviz, Ghadrian et Thouez: résultats préliminaire d'une enquête sur les habitudes alimentaires des canadiens français a Montréal, méd. Et Nut, 1996.

5--Lévi Strauss Claude, Mythologique, t.1 : Le Cru et le Cuit, Plon, Paris 1964